"شبكة المدن العالمية: هل من ميتاجرافيا جديدة؟"

من حوليات جمعية الجغرافيين الأمريكيين (2000)
جوناثان ف. بيفرستوك، ريتشارد ج. سميث، وبيتر ج. تايلور

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة المحررين

منذ أن صاغ مخطط المدن باتريك جيديس مصطلح "مدن العالم" لأول مرة عام 1915، ساد شغفٌ بتلك الأماكن التي ، وفقًا لجيديس ، "تُدار فيها أعمال العالم" . في عام 1966، استخدم بيتر هول في كتابه "مدن العالم" مجموعةً من المعايير المتعلقة بالسلطة السياسية والتجارة والتمويل والاتصالات ، لتحديد لندن ونيويورك وموسكو وطوكيو والمجمعات الحضرية في راندستاد في هولندا وراين-رور في ألمانيا ، كأماكن في قمة التسلسل الهرمي الحضري العالمي . بعد عشرين عامًا ، استخدم فريدمان (1986) في "فرضية المدينة العالمية" تجميع مقرات الشركات العابرة للحدود الوطنية لتحديد لندن وباريس وطوكيو ونيويورك ولوس أنجلوس وشيكاغو كونها "القمم المهيمنة" للاقتصاد العالمي .

وفي الآونة الأخيرة ، أسفر تعريف ساسن للمدن العالمية كمواقع استراتيجية لإدارة الاقتصاد العالمي وإنتاج أكثر الخدمات والعمليات المالية تقدمًا (ساسن 1991) عن الثلاثية المألوفة الآن المتمثلة في لندن ونيويورك وطوكيو كمدن في قمة النظام الحضري العالمي . ومع ذلك ، وعلى الرغم من أهمية وتأثير جميع هذه الدراسات ، فإن تركيزها على سمات وخصائص المدن العالمية ، بدلاً من العلاقات والروابط بينها ، يُنظر إليه بشكل متزايد على أنه نقطة ضعف حاسمة في أبحاث المدن العالمية ، كما ذكر تايلور وآخرون . لوحظ (2002) أن التركيز على مدن العالم كـ"عقد" بدلًا من كونها أجزاءً من "شبكات" يُعدّ أمرًا متناقضًا إلى حد ما ، نظرًا لأن جوهر مدن العالم يكمن في علاقاتها ببعضها البعض .

في هذه القراءة ، يتناول بيفرستوك وسميث وتايلور هذه المفارقة مباشرةً من خلال التركيز على العلاقات بين مدن العالم . تتبع الأسس النظرية لتحليل بيفرستوك وآخرين لشبكة مدن العالم من عمل عالم الاجتماع الحضري مانويل كاستيلز . فمنذ دراسته للاستهلاك الجماعي في كتاب "المسألة الحضرية : نهج ماركسي" (1977) وحركات الاحتجاج الحضرية في كتاب "المدينة والجذور الشعبية : نظرية عبر ثقافية للحركات الاجتماعية الحضرية" (1983) ، كان كاستيلز مصدرًا مهمًا للإلهام المفاهيمي لجغرافيي المدن ، هنا بيفرستوك وآخرون . يستند كاستيلز في كتاباته الحديثة حول "عصر المعلومات" ، وتحديدًا كتاب "صعود مجتمع الشبكات" (1996)، لدعم حجتهم القائلة بوجوب تصور مدن العالم كعملية تقع في "مساحة تدفقات" شبكية بدلًا من كونها أماكن محددة (ألين 1999) . **ومن هذا المنظور الماركسي الجديد ، تُعد مدن العالم مهمةً لما تتدفق عبرها (من حيث المعلومات ، والمال ، والأفكار، والأشخاص ، وما إلى ذلك) بدلًا مما تحتويه بشكل ثابت** .

ومع ذلك ، لا يقدم كاستيلز سوى القليل من المواد التجريبية لتطوير هذا الإطار النظري ، لذلك يعتمد بيفرستوك وآخرون على مجموعة بياناتهم المبتكرة ، التي تشمل استراتيجيات الموقع العالمي لشركات الإنتاج والخدمات المتقدمة ، لاستكشاف العلاقات بين المدن . وتوفر هذه المعلومات الكمية عن شبكات المكاتب العالمية للشركات العاملة في أنشطة مثل الخدمات المصرفية والقانون التجاري والمحاسبة المواد الخام اللازمة لدراسة معالم شبكات مدن العالم بطرق متنوعة ومختلفة . باستخدام بيانات الحضور/الغياب ، على سبيل

المثال ، تمكن بيفرستوك وآخرون من رسم خريطة "للحضور المشترك" (التي تشير إلى أعداد الشركات التي لديها مكاتب في أزواج من مدن العالم) و"احتمالات الارتباط" (التي تشير إلى مدى احتمالية أو عدم احتمالية أن يكون لشركة مقرها في مدينة عالمية واحدة مكتب في مدينة أخرى) .

من الناحية المفاهيمية والمنهجية ، يُعد تحليل بيفرستوك وآخرون ذا أهمية كبيرة . من الناحية المفاهيمية ، يُمثل هذا التحليل تحولًا حاسمًا عن تحليل مدن العالم من حيث أوجه التشابه والاختلاف الداخلية بينها أو تصنيفها وفقًا لـ"كونها مدينة عالمية" على أساس عدد المقرات الرئيسية للشركات العابرة للحدود الوطنية التي تحتوي عليها . بدلًا من ذلك ، ينصبّ التركيز بشكل كبير على العلاقات بين المدن وعلى التدفقات بين مدن العالم . من الناحية المنهجية ، تُعد هذه الورقة مهمة لأن دراسة شبكات مدن العالم تتطلب أنواعًا جديدة من البيانات . عادةً ما تكون مجموعات البيانات الحالية "مركزة على الدولة" (أي أنها تحتوي على بيانات جُمعت عن الولايات وتتعلق بالولايات) ، وعلى الرغم من أن هذا يسمح بإجراء مقارنات دولية ، إلا أنه لا يُسهّل التحليل عبر الدول .

تُقدم مجموعة بيانات بيفرستوك وآخرون ، المتعلقة بتوزيع مكاتب شركات الإنتاج والخدمات بين المدن ، طريقةً مبتكرةً لمعالجة مشكلة نقص البيانات هذه ، وبالتالي إتاحة المجال لإجراء تحليلات بين الولايات وبين المدن (ينظر أيضًا شورت وآخرون، 1996) . على الرغم من هذه النقاط القوية ، فقد أُثيرت مخاوف بشأن الأسس النظرية التي يقوم عليها تحليل بيفرستوك وآخرون لشبكات المدن العالمية . في الواقع ، في "نقد ذاتي" مثير للاهتمام ، شبّه أحد المؤلفين المشاركين في هذا البحث ، ريتشارد سميث (2003أ: 31؛ ينظر أيضًا 2003ب) ، أبحاثهم حول المدن العالمية بـ "إحصاء طرق الأبواب" عندما "المطلوب هو مناهج جديدة تساعدنا على تجاوز الإحصاء - لاجتياز هذه الأبواب لمعرفة كيفية عمل الشبكات وصيانتها بدقة عبر مسافات طويلة" . بالنسبة لسميث ، يعني هذا الاستغناء عن فكر كاستيلز الماركسي الجديد ، الذي يُنظر إليه على أنه مُجرّد للغاية ويفتقر إلى أي حس قوي بالفاعلية البشرية ، والتوجه بدلاً من ذلك إلى شبكات الفاعلين والنظريات غير التمثيلية التي من شأنها أن تُسلّط الضوء على كيفية تشكيل الشبكات باستمرار من قِبل الفاعلين البشريين وغير البشريين .

على الرغم من مساهمة العديد من الجغرافيين في دراسة مدن العالم (ينظر على سبيل المثال كتاب "العالم الحضري / المدينة العالمية" لدي . كلارك (لندن: روتليدج، 2003) وكتاب "العولمة والمدينة" لج. شورت وواي-إتش. كيم (هارلو: لونجمان، 1999)) ، إلا أنه يُمكن القول إن أكثر التحليلات استدامةً وابتكارًا قد انبثقت من مجموعة دراسة وشبكة "العولمة والمدن العالمية" (GaWC) في قسم الجغرافيا بجامعة لوبورو، والتي يُعدّ بيفرستوك وسميث وتايلور أعضاءً رئيسيين فيها . جوناثان بيفرستوك أستاذ الجغرافيا الاقتصادية في جامعة لوفبورو ، وله اهتمامات بحثية خاصة في الإدارة الاستراتيجية ، والشبكات التنظيمية ، والخصائص المكانية للخدمات المالية والمهنية في ظل العولمة الاقتصادية .

بيتر تايلور أستاذ الجغرافيا البشرية في جامعة لوفبورو، وكان المحرر المؤسس لمجلتي "الجغرافيا السياسية" و"مراجعة الاقتصاد السياسي الدولي" . من مؤلفاته العديدة : "الجغرافيا السياسية : الاقتصاد العالمي ، الدولة القومية ، والمحلية" (دار نشر هارلو: لونجمان؛ صدرت أحدث طبعة عام ١٩٩٩، وشارك في تأليفها كولين فلينت)؛ و"كيف يعمل العالم الحديث: من الهيمنة العالمية إلى المأزق العالمي" (دار نشر تشيتشستر: وايلي، ١٩٩٦)؛ و"الحداثات: تفسير جيوتاريخي" (كامبريدج: بوليتي برس، ١٩٩٩). شارك مع بول نوكس في تحرير كتاب "المدن العالمية في نظام عالمي" (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، ١٩٩٥)، وشارك مع ديفيد سلاتر في تحرير كتاب "القرن الأمريكي : الإجماع والإكراه في إسقاط القوة الأمريكية" (أكسفورد:

بلاكويل، ١٩٩٩) . ريتشارد سميث محاضر في الجغرافيا بجامعة ليستر، وله اهتمامات بحثية في العولمة والمدن وما بعد البنيوية . لا يُمكن أن يكون لديك جغرافيا لأي شيء غير مُتصل . فبدون اتصالات ، لا جغرافيا . (جولد 1991: 4) يُمثل عدم قدرتنا على قياس ومقارنة تدفقات المعلومات بين مراكز القيادة العالمية مُشكلة رئيسية للبحث في التسلسل الهرمي الحضري العالمي. (شورت وكيم 1999: 38)

خلال رحلات أبولو الفضائية ، ذُكر أن أحد رواد الفضاء ، وهو ينظر إلى الأرض ، أعرب عن دهشته لعدم رؤيته أي حدود . هذه النظرة الجديدة لعالمنا كونه "الكوكب الأزرق" ، والتي التُقطت في صورة ناسا رقم 22727 الشهيرة للكرة الأرضية كاملةً دون ظلال (كوسجروف 1991: 127) ، تناقضت مع النموذج البطلمي المُسلّم به ، أو صورة الفضاء العالمي المُتمحورة حول الدولة ، والتي يحملها معظم الناس المعاصرين في أذهانهم : عالم من الشبكات والخطوط المُتقاطعة والحدود الإقليمية. ... وكصدمة أخرى لغطرسة الحداثة ، سرعان ما تم قبول حقيقة أن الشيء الوحيد "من صنع الإنسان" هو كان سور الصين العظيم القديم من بين الآثار المرئية من الفضاء .

ومن المثير للاهتمام أن سور الصين العظيم ليس المعلم المرئي الوحيد : ففي الليل ، تُرى المستوطنات الحديثة بوضوح كوخزات من الضوء الكهربائي على لوحة قماشية سوداء... وتتجلى عالمية المجتمع الحديث جليةً للجميع في الصور المطبوعة ، التي تُنقل إلى الأرض ، لأضواء تُحدد نمطًا عالميًا من المدن ، يتألف من مساحة واسعة تُحيط بخطوط العرض الوسطى لنصف الكرة الشمالي ، بالإضافة إلى العديد من واحات الضوء في أماكن أخرى . وقد ساهمت حقيقة أن هذه "المناظر الخارجية" للأرض قد حددت فضاءً عالميًا للمستوطنات بدلًا من الفضاء العالمي الأكثر شيوعًا للدول ، في نمو خطاب "عالم واحد" المعاصر (أو "سفينة الأرض الفضائية" أو "الأرض الكاملة") ، والذي بلغ ذروته في نظريات "عالم بلا حدود" للعولمة .

وبالطبع ، لا تعتمد الجغرافيات فقط على الرؤية أو الاستعارات . إن غياب حدود الدول عن صور رحلات الفضاء لا يُخبرنا شيئًا عن القوة الحالية للدول في التأثير على جغرافية العالم . ومع ذلك ، يُمكن للصور أن تؤثر على "الجغرافيا المكانية" ، أو "الهياكل المكانية التي يُنظّم الناس من خلالها معرفتهم بالعالم" (لويس وويجن، ١٩٩٧: ٩) . في العالم الحديث ، اتسم هذا بشكل ملحوظ بطابع أوروبي مركزي وقائم على الدولة . إن هذه البنية المكانية الفسيفسائية هي ما تُشكّل تحديًا للصور الليلية ، حيث إن الناس ، في المقام الأول ، يعيشون في مستوطنات . في هذه الورقة ، نتناول أكبر بؤر الضوء ، "مدن العالم" التي تُشكّل وظائفها العابرة للحدود الوطنية تحديًا ماديًا للدول وأقاليمها . توجد هذه المدن في عالم من الحدود والروابط والروابط والعلاقات . تُمثّل مدن العالم جغرافيا مكانية بديلة ، عالمًا من الشبكات بدلاً من فسيفساء الدول . تاريخيًا ، لطالما وُجدت المدن في بيئات مترابطة ، سواءً من حيث تدفقات المواد أو نقل المعلومات . وقد عملت كمراكز تُخدَم منها مناطقها النائية وتُربط بعوالم أوسع . وينعكس ذلك في كيفية تعامل الجغرافيين الاقتصاديين مع القطاعات الاقتصادية : عادةً ما تُرسم الأنشطة الرئيسية والثانوية كمناطق زراعية أو صناعية رسمية ، بينما تُرسم الأنشطة الثانوية كمناطق وظيفية ، كما تُجسّدها نظرية المكان المركزي .

لماذا يختلف اهتمامنا بالمدن المعاصرة في عالم التدفقات عن هذا النشاط الثانوي السابق ودراسته ؟ أولًا، شهد القرن العشرون تحولًا قطاعيًا ملحوظًا في الاقتصادات المتقدمة : فبعد أن كان يُعرّف في الأصل بصناعاته التحويلية ، أصبح النمو الاقتصادي يعتمد بشكل متزايد على صناعات الخدمات . ثانيًا، تعزز هذا الاتجاه بشكل كبير بفضل التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات التي مكّنت الخدمات والتحكم من العمل ليس فقط بسرعة وفعالية أكبر ، بل وبشكل حاسم على نطاق عالمي . المدن العالمية المعاصرة هي نتاج هذه التغيرات الاقتصادية . فالنبضات الكهربائية الكبيرة للضوء في صور الفضاء متصلة فعليًا بتدفقات إلكترونية هائلة من المعلومات ، ما يُشكّل فضاءً وظيفيًا جديدًا سيكون حاسمًا للفهم الجغرافي في الألفية الجديدة . تُقدّم

هذه الورقة البحثية... تقريرًا عن بحث تمهيدي حول الأساس التجريبي اللازم لوصف الميتاجرافيا الجديدة للعلاقات بين مدن العالم . وقد أصبح هذا الهدف المتواضع ضروريًا نظرًا لنقصٍ تجريبيٍّ حرجٍ في أدبيات المدن العالمية حول العلاقات بين المدن...

سماتٌ بلا علاقات:

مجموعات بحثية في دراسات المدن العالمية ، تمتلئ دراسات المدن العالمية عمومًا بالمعلومات التي تُسهّل تقييم المدن الفردية وإجراء تحليلاتٍ مُقارنةٍ لعدة مدن . ومع ذلك ، فإن البيانات التي تستند إليها هذه التحليلات مُستمدةٌ بشكلٍ كبيرٍ من مقاييس سمات المدينة (تايلور 1999) . تُعدّ هذه المعلومات مفيدة لتقدير الأهمية العامة للمدن ودراسة العمليات داخل المدن ، لكنها لا تُقدّم لنا معلومات مباشرة عن العلاقات بين المدن . وبالتالي ، يُمكن تصنيف المدن حسب سماتها ، لكنّ الترتيب الهرمي الهادف إلى كشف الثغرات أو الشبكات يتطلّب نوعًا مختلفًا من البيانات ، قائمًا على مقاييس العلاقات بين المدن (تايلور، ١٩٩٧) . إنّ ندرة البيانات العلائقية هي "السرّ الصغير القذر" (شورت وآخرون، ١٩٩٦) في هذا المجال البحثي . بعبارة أخرى ، نحن نعرف العُقد ، ولكننا لا نعرف الروابط في هذا المسح الجغرافي الجديد . وبطبيعة الحال ، **يتطلّب الفهم السليم معرفةً متكاملةً بكلٍّ من العُقد والروابط** . ومن ثم ، فإن مراجعتنا الموجزة للمجموعات الرئيسية لأبحاث المدن العالمية لها غرضان : أولاً، توضيح الطبيعة الشاملة لنقطة الضعف، وثانياً، إيجاد عمليات تشكيل المدن العالمية التي يمكن أن توجه بحثنا عن معلومات حول عمليات تشكيل شبكات المدن العالمية .

الدراسات المبكرة:

من الكوسموبوليتانية إلى اقتصاد الشركات ، بدأ بيتر هول (1966) الدراسة الحديثة لمدن العالم بدراسة شاملة للغاية للسمات – السياسة ، والتجارة ، ومرافق الاتصالات ، والمالية ، والثقافة ، والتكنولوجيا ، والتعليم العالي - التي وضعت لندن ، وباريس ، وراندستاد-هولندا ، وراين-رور، وموسكو، ونيويورك ، وطوكيو في قمة التسلسل الحضري العالمي . أما ستيفن هايمر، فقد بدأ "التحول الاقتصادي" في دراسات مدن العالم ، الذي استمر في الهيمنة حتى الوقت الحاضر . وجادل بأن آليات التحكم المؤسسي في اقتصاد عالمي ناشئ تُعد أمرًا بالغ الأهمية ، وبالتالي ، تميل مقرات الشركات متعددة الجنسيات إلى التمركز في "مدن العالم الكبرى – نيويورك ، ولندن ، وباريس ، وبون ، وطوكيو... إلى جانب موسكو وبكين" (1972: 50). أصبح استخدام توزيع المقرات الرئيسية لتصنيف المدن أمرًا شائعًا منذ ذلك الحين... ولكن على الرغم من أن بيانات السمات هذه يمكن أن تُحدد الأهمية النسبية للمدن ، إلا أنها لا تستطيع تحديد تسلسل هرمي داخل الشبكة.

مراكز القيادة ونقاط الانطلاق:

التقسيم الدولي الجديد للعمل وفرضية المدينة العالمية ، استلهمت معظم دراسات التسلسلات الهرمية الحضرية العالمية فرضية جون فريدمان (فريدمان وولف 1982؛ فريدمان 1986) الرائدة حول المدينة العالمية . واتباعًا للتسلسل الهرمي الجديد لكوهين (1981) للمدن العالمية السائدة (نيويورك، طوكيو، لندن) والمدن العالمية الثانوية (أوساكا، راين-رور، شيكاغو، باريس، فرانكفورت، وزيورخ) ، استقى فريدمان أفكاره من الآثار التنظيمية لرأس المال في أطروحة فروبل وآخرين (1980) حول التقسيم الدولي الجديد للعمل . طرحت إعادة هيكلة الإنتاج الصناعي في سبعينيات القرن الماضي مشاكل جديدة لرأس المال ،

ساهمت المدن العالمية في حلها ، إذ أصبحت مراكز قيادة ونقاط ارتكاز لرأس المال في حركته الدائمة حول العالم .

يُستشهد كثيرًا بتسلسل فريدمان الهرمي لقيمته التربوية والاستكشافية ، إلا أنه يستند إلى مسح نسبي محدود ، يصعب قياس متغيراته الرئيسية وارتفاعاته ومعايرتها . وشملت هذه العوامل تركيز التمويل ، ومقرات الشركات متعددة الجنسيات ، وخدمات الأعمال ، ونشاط التصنيع ، والنقل ، والسكان (فريدمان 1986: 72) . وقد طوّر الكثيرون الآن انتقادات مُفصّلة لتسلسل فريدمان الهرمي الأصلي (على سبيل المثال، بيفرستوك وآخرون 2000؛ كورف 1987؛ تايلور 1997)، وقد أشار فريدمان نفسه (1995) إلى بعض أوجه قصوره . ومع ذلك ، فقد صنّفت الأبحاث اللاحقة المدن إلى تسلسلات هرمية بناءً على معايير القيادة والتحكم ، وقياس سمات مدن العالم ، ثم ترتيبها حسب الحجم...

المراكز المالية الدولية

كان صعود الأسواق المالية العالمية أحد أبرز عناصر العولمة الاقتصادية ، وقد حفّز اندماجها في المراكز المالية الدولية اتجاهًا محددًا من أبحاث المدن العالمية . وقد أنتج العمل الرائد لريد (1981) أول تحليل كمي رئيسي للمدن العالمية . وباستخدام تحليل متعدد المتغيرات لأكثر من خمسين سمة مالية وثقافية واقتصادية وجغرافية وسياسية عبر ست وسبعين مدينة بين عامي 1900 و 1980، أنتج ريد تسلسلًا هرميًا متطورًا للمراكز المالية الدولية . ومثل فريدمان (1986) ، نوقش هذا التسلسل الهرمي على نطاق واسع لقيمته التربوية...، لكن ضعفه الرئيسي يكمن في إهماله للعلاقات بين المراكز المالية . مهما بلغ تعقيد تحليل بيانات السمات ، فإن مثل هذه التصنيفات لا يمكن أن تُنتج سوى تسلسل هرمي ، ولا يمكن استنتاج العلاقات المالية بين المدن العالمية إلا من خلاله . علاوة على ذلك ، فإن دراسة وظائف الوسطاء الماليين ، دون تحليل بيانات المراكز المالية البينية ، كما دعا إليه ماير ، لا تُشكل "تسلسلًا هرميًا للمراكز المالية في المدن العالمية " (428: 1998).

مجمع الإنتاج والخدمات و"ثالوث" المدن العالمية

إذا كانت المراكز المالية الدولية تُمثل "تفكيكًا" لمفهوم المدينة العالمية ، فإن مفهوم ساسن (1991) للمدينة العالمية هو بداية لإعادة صياغة المفهوم . بالإضافة إلى الخدمات المالية ، تُحدد إنتاج خدمات إنتاجية متقدمة أخرى (مثل المحاسبة ، والإعلان ، والتأمين ، والقانون التجاري ، إلخ) في إنشاء مجمعات المدن العالمية ، كما هو مُجسد في لندن ونيويورك وطوكيو، مع تركيز على المعارف النظرية والعملية . تُمثل خدمة المدن العالمية يُنشئ رأس المال في هذه المجمعات المحلية تركيزًا للوظائف التي نعرفها باسم مدن العالم . ومع أن ساسن تُفسر هذه الثلاثية من المدن على أنها قمة التسلسل الهرمي الحضري العالمي ، فإن تحليلاتها تعتمد أيضًا كليًا على بيانات السمات . ونتيجة دراساتها العديدة (ساسن 1994أ، 1994ب، 1995) تُمثل معرفةً غنيةً بالثلاثية من الناحية المقارنة ، ولكن دون وجود دليل مباشر على وجود علاقات بين المدن الثلاث أو بينها وبين مدن أخرى.

مدرسة لوس أنجلوس

كان ظهور ما يُسمى بـ"مدرسة لوس أنجلوس" ، جزءًا من "التحولات" الثقافية وما بعد الحداثية في الجغرافيا والتخطيط الحضري ، والتي تُبرز التحول المفاهيمي عن مدرسة شيكاغو الوضعية إلى حد كبير في أوائل القرن العشرين.... مع التركيز على مدينة واحدة ، لوس أنجلوس ، كونها النموذج الأصيل ، أو النموذجية ، أو "مدينة المشاهير" لعمليات المدن العالمية المعاصرة (المكان الذي "يجتمع فيه كل شيء"؛ سوجا 1989: 8)، أُهملت العلاقات بين المدن إلى حد كبير . يُركز أحد فروع هذه المدرسة ، وهو "التنظيم الاجتماعي للانعكاس الاقتصادي" لمايكل ستوربر (1997: 244) ، على قرب الأماكن التي تُشكل مراكز ابتكار حيوية لرأس المال . يتناول ستوربر (1997: 222) المدينة كونها "موقعًا متميزًا" للانعكاسية ، نظرًا لبنيتها المعرفية والتعلمية المضمنة .

يتجاوز هذا العمل خدمات الإنتاج إلى التصنيع المتخصص ، مع عد هوليوود "الموقع المتميز" الكلاسيكي ، إلا أنه يفشل في تناول الدور المكاني الأوسع للمدن ، بحيث تظل روابطها في اقتصاد التدفقات غير مرئية . وبينما يُشار إلى "مجتمع المدن" (ستوربر 1997: 222) ، فإن العلاقات بين المدن هي بالضبط ما يغيب عن هذا العمل . لا يشترط أن تكون الانعكاسية الاقتصادية محلية وإقليمية بحتة ؛ فنحن نتفق مع أمين وثريفت (1992) على وجود انعكاسية نقدية مضمنة في شبكات الشركات العالمية ، ومُعاد إنتاجها من خلالها : أو ، كما نود أن نسميها ، من خلال الشبكة العلائقية لمدن العالم .

المدن العالمية في مجتمع شبكي

حاول أحد المؤلفين، على وجه الخصوص ، تطوير المعرفة النظرية بشبكة المدن العالمية . يُصوّر كاستيلز (1996) الاقتصاد المعلوماتي المعاصر على أنه يعمل من خلال "مساحة من التدفقات" تُشكّل مجتمعًا شبكيًا . ويعمل هذا على عدة مستويات ، أحدها شبكة المدن العالمية . وهكذا ، فبدلًا من مفاهيم المدن العالمية الثابتة التي تناولناها سابقًا - المراكز، النقاط ، المجمعات ، المواقع - يُصوّر كاستيلز المدن العالمية على أنها عمليات "ترتبط من خلالها مراكز إنتاج واستهلاك الخدمات المتقدمة ، والمجتمعات المحلية التابعة لها ، في شبكة عالمية" (1996: 380) . وبالتالي ، تُراكم المدن الثروة والسيطرة والسلطة وتحتفظ بها بفضل ما يتدفق عبرها ، وليس بفضل ما تحتويه بشكل ثابت ، كما يُقاس عادةً ببيانات السمات.

لم يكن من ضمن مهام كاستيل (1996) الانخراط في توليد بيانات جديدة ، ولذلك ، وعلى الرغم من مساهمته النظرية ، فإن عمله يعكس الاستخدام السائد لبيانات السمات (تايلور 1999) . يتمثل استخدامه الرئيسي للبيانات لتحديد مساحة التدفقات في مجموعة بيانات واسعة الدقة (مصدر واحد، تسع وجهات) من فيديرال إكسبريس ، والتي حللها في الأصل ميشيلسون وويلر (1994: 382-383) . لا يقدم كاستيل تقدمًا تجريبيًا في شبكة المدن العالمية ، ولكن من خلال الدراسات النظرية الأخرى للعقد ، يوفر إطارًا لعملنا التجريبي على تشكيل شبكة المدن العالمية في مساحة من العلاقات . تنشأ المدن العالمية من خلال علاقات أنشطة الشبكات المؤسسية والترابط بين المدن بناءً على مجمعات المعرفة والانعكاسية الاقتصادية . على الرغم من هذه المفاهيم المثمرة ، فإن مفتاح فتح "مجالات العلاقات" بين مدن العالم يكمن في جمع بيانات جديدة (سميث وتيمبرليك 1995أ، 1995ب).

استراتيجيات تحديد مواقع المكاتب العالمية

باختصار، تتسم أدبيات مدن العالم بعدم التوازن الشديد : فهي تزخر بالمفاهيم النظرية المثيرة للاهتمام لمعالجة محاور شبكة مدن العالم ، إلا أن هذه المفاهيم ترافقها قلة في الاهتمام التجريبي بقياس العلاقات بين هذه المحاور . البيانات المنشورة الوحيدة المتاحة لدراسة العلاقات بين المدن على نطاق عالمي هي إحصاءات ركاب شركات الطيران الدولية . ولذلك ، ليس من المستغرب أن تركز الدراسات التجريبية التي تعرض شبكات مدن العالم على هذا المصدر (كيلينغ 1995؛ كونزمان 1998؛ ريمر 1998) . ومع ذلك ، هناك قيود جدية على هذه الإحصاءات كونها أوصافًا للعلاقات بين مدن العالم . المدن (تايلور 1999) : أولًا، تتضمن المعلومات أكثر بكثير من مجرد الرحلات المرتبطة بعمليات المدن العالمية (مثل السياحة) ، وثانيًا، لا تُسجل الرحلات المهمة بين المدن داخل البلدان في البيانات الدولية (على سبيل المثال، تظهر الرحلات بين نيويورك وتورنتو في البيانات ، بينما لا تظهر الرحلات بين نيويورك ولوس أنجلوس). في حين أنه يمكن التغلب على هذه المشكلة الأخيرة من خلال تعزيز البيانات بإحصاءات الرحلات الداخلية ، فإن خصائص أنظمة المحاور والأفرع التي تديرها شركات الطيران تُشكل تحذيرًا مهمًا آخر لاستخدام هذه البيانات لوصف شبكة المدن العالمية .

تُعد دراسة استراتيجيات الموقع العالمية لشركات الإنتاج والخدمات المتقدمة نهجًا بديلًا لوصف شبكات المدن العالمية ، وهو نهج يتغلب على هذه المشكلات . يتعين على الشركات التي تقدم خدمات الأعمال على نطاق عالمي أن تُقرر توزيع ممارسيها ومحترفيها عبر مدن العالم . يُعدّ إنشاء مكتب مشروعًا مكلفًا ، ولكنه استثمار ضروري إذا رأت الشركة أن مدينة معينة هي المكان المناسب لها لتحقيق أهدافها المؤسسية . ومن ثم ، تُوفّر جغرافيات مكاتب شركات الإنتاج المتقدمة رؤية استراتيجية لعمليات المدن العالمية من خلال تفسير شبكات المكاتب داخل الشركة على أنها علاقات بين المدن . في هذه الحجة ، يتكون تشكيل شبكة المدن العالمية من مجموع استراتيجيات الموقع العالمية لشركات الإنتاج والخدمات المتقدمة الكبرى . يمكن الحصول على معلومات حول شبكات مكاتب الشركات من خلال البحث في مصادر متنوعة ، مثل مواقع الشركات الإلكترونية ، والأدلة الداخلية ، وكتيبات العملاء ، والمنشورات التجارية .

لقد جمعنا بيانات حول توزيع مكاتب 74 شركة (تغطي مجالات المحاسبة ، والإعلان ، والخدمات المصرفية / التمويل ، والقانون التجاري) في 263 مدينة . حدد تحليل أولي لهذه البيانات 143 مركزًا مكتبيًا رئيسيًا في هذه المدن ، وصُنف 55 منها كمدن عالمية بناءً على عدد مكاتبها وحجمها وأهميتها (للاطلاع على تفاصيل هذا التصنيف، ينظر .Beaverstock et al. 1999a) لا توجد قائمة أخرى من هذا القبيل لمدن العالم ؛ وتُستخدم هنا كإطار أساسي لدراسة شبكة مدن العالم.

شبكة عالمية بين المدن

تنقسم قائمة مدن العالم الـ 55 إلى ثلاثة مستويات من تقديم الخدمات ، تضم 10 مدن ألفا ، و10 مدن بيتا ، و35 مدينة جاما . تُستخدم فقط مدن ألفا – شيكاغو ، وفرانكفورت، وهونغ كونغ، ولندن، ولوس أنجلوس، وميلانو، ونيويورك، وباريس، وسنغافورة، وطوكيو - في هذا القسم لتوضيح كيف يمكن لجغرافيات المكاتب أن تُحدد العلاقات بين المد ن. لاحظ الانتشار الجغرافي لهذه المدن العشر الأولى في العالم ؛ إنها موزعة بالتساوي نسبيًا عبر ثلاث مناطق حددناها سابقًا على أنها "ساحات العولمة" الرئيسية : الولايات المتحدة ، وأوروبا الغربية ، وآسيا والمحيط الهادئ (بيفرستوك وآخرون، 1999ب). تم بناء أنماط شبكة المدن العالمية لهذه المدن العالمية ألفا ، باستخدام بيانات بسيطة للحضور / الغياب لأكبر 46 شركة في البيانات

(جميع هذه الشركات لديها مكاتب في 15 مدينة مختلفة أو أكثر). يظهر الحضور المشترك في الجدول 1. تشير كل خلية في مصفوفة المدن هذه إلى عدد الشركات التي لديها مكاتب في كلتا المدينتين.

Table 1 Relations between Alpha world cities: shared firm presences

	Number of firms with offices in both cities									
	CH	*FF*	*HK*	*LN*	*LA*	*ML*	*NY*	*PA*	*SG*	*TK*
Chicago										
Frankfurt	21									
Hong Kong	21	30								
London	23	32	38							
Los Angeles	21	23	29	33						
Milan	19	28	29	32	22					
New York	23	32	38	45	32	32				
Paris	21	30	32	35	27	28	34			
Singapore	20	30	34	35	26	29	35	32		
Tokyo	23	30	34	37	30	29	37	32	32	

وبالتالي ، تشترك لندن ونيويورك في 45 شركة من أصل 46 شركة ؛ وشركة واحدة فقط في البيانات ليس لديها مكاتب في كلتا المدينتين . من الواضح أن هاتين المدينتين هما المكانان الأمثل لشركة خدمات مؤسسية ذات طموحات عالمية جادة . هذه النتيجة ليست مفاجئة على الإطلاق بالطبع ؛ يأتي الاهتمام عند استكشاف مستويات أدنى من العلاقات بين المدن . في الشكل 1أ، يُصوَّر أعلى 20 مركزًا مشتركًا على مستويين من العلاقة . يُحدد المستوى الأعلى ثلاثي المدن العالمية لساسن (1991) - لندن ونيويورك وطوكيو - كعلاقة مثلثية (مع ملاحظة أن هونغ كونغ لها علاقة مماثلة مع لندن ونيويورك).

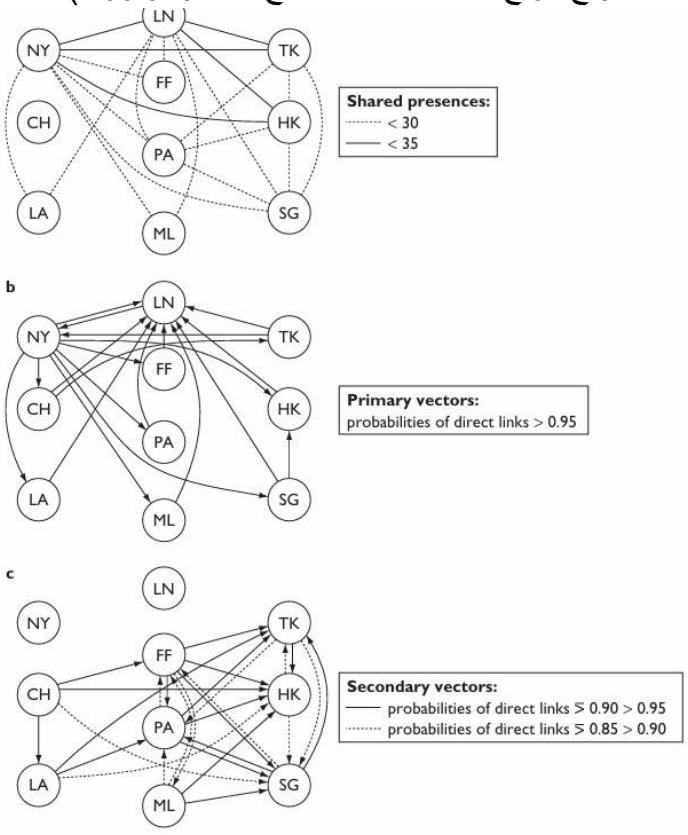

وبالنظر إلى المستوى الأدنى من العلاقات ، تشترك لندن ونيويورك في وجود مشترك مع ثماني مدن أخرى ، مع ملاحظة ارتفاع مستوى آسيا والمحيط الهادئ في هذه البيانات : تنضم سنغافورة إلى طوكيو وهونغ كونغ في إظهار العلاقات مع خمس مدن أخرى ، وهو مستوى باريس نفسه . ويتناقض هذا مع المدن الأمريكية العالمية التي تقع أسفل نيويورك ؛ حيث تقع لوس أنجلوس في الفئة التالية من حيث الوجود المشترك مع فرانكفورت وميلانو، بينما تقف شيكاغو وحدها ، دون أي علاقات بين المدن على المستوى الأدنى المطلوب للتضمين في الرسم البيان ي. يمكن تفسير هذا النمط من حيث اختلاف درجات التشرذم السياسي في ساحات العولمة الرئيسية الثلاث . ففي منطقة آسيا والمحيط الهادئ ، الأكثر تشرذمًا ، توجد شبكة مدن عالمية . (أ) التواجد المشترك بين مدن العالم ألفا؛ (ب) المتجهات الأولية (احتمالات الروابط) بين مدن العالم ألفا؛ (ج) المتجهات الثانوية (احتمالات الروابط) بين مدن العالم ألفا.

لا تُعد نيويورك مدينة عالمية مهيمنة ، لذا يلزم وجود تواجد في ثلاث مدن على الأقل لتغطية المنطقة : هونغ كونغ للصين ، وسنغافورة لجنوب شرق آسيا ، وطوكيو لليابان (تايلور 2000) . على النقيض من ذلك ، تتكون الولايات المتحدة من ولاية واحدة ، بحيث تكفي مدينة واحدة للتواجد في تلك السوق . والنتيجة هي أن نيويورك تُلقي بظلالها على المدن الأمريكية الأخرى . وفي الوقت نفسه ، تزداد أوروبا الغربية توحدًا سياسيًا ، ولكن ما تزال هناك أسواق وطنية عديدة ، مما لا يجعل لندن تهيمن على محيطها الإقليمي بنفس درجة نيويورك . تُحدد التواجدات المشتركة مصفوفة متماثلة تُظهر أحجام العلاقات بين المدن، ولكن ليس اتجاهها.

على النقيض من ذلك ، يُمثل الجدول 2 مصفوفة غير متماثلة تُظهر احتمالات الارتباط . تحتوي كل خلية على احتمال أن يكون لشركة في المدينة أ مكتب في المدينة ب . وبالتالي ، يوضح الجدول 2 أنه إذا تعاملتَ مع شركة مقرها شيكاغو، فسيكون هناك احتمال بنسبة 0.91 أن يكون لتلك الشركة مكتب في فرانكفورت أيضًا . من ناحية أخرى ، إذا ذهبتَ إلى شركة مقرها فرانكفورت ، فسيكون احتمال وجود مكتب لها في شيكاغو 0.66 فقط . يُمثل هذا التباين بالمتجهات في الشكلين 1ب و1ج. تُعرَّف المتجهات الأساسية باحتمالات أعلى من 0.95. لاحظ أن جميع المدن تتصل بلندن ونيويورك عند هذا المستوى (الشكل 1ب) . كما هو الحال في الشكل 1أ ، تصل طوكيو وهونغ كونغ فقط إلى أعلى فئة من الاتصال، ولكن لكل منهما رابط واحد فقط .

Table 2 Matrix of office-presence linkage indices for alpha world cities

	Linkage to									
Linkage from	*CH*	*FF*	*HK*	*LN*	*LA*	*ML*	*NY*	*PA*	*SG*	*TK*
Chicago		89	89	100	91	79	100	89	83	100
Frankfurt	67		93	100	72	87	100	95	94	95
Hong Kong	60	82		100	80	80	100	85	92	90
London	59	77	87		78	78	98	83	83	86
Los Angeles	67	73	89	100		70	97	84	81	89
Milan	59	88	93	100	67		100	88	91	93
New York	59	77	87	98	77	77		79	83	85
Paris	64	85	90	100	80	81	97		90	90
Singapore	60	87	98	100	78	83	100	92		95
Tokyo	64	84	93	100	83	81	100	87	88	

مرة أخرى ، من المثير للاهتمام أيضًا النظر إلى العلاقات ذات المستوى الأدنى ، وهي موضحة في الشكل 1ج . يُعزز هذا الرسم البياني لا يوجد تفسيرٌ لمجالات العولمة الثلاث المذكورة أعلاه : شيكاغو ولوس أنجلوس ، ليس لديهما أيُّ متجهاتٍ داخلية من المجالات الأخرى ، فيما يُشبه إلى حدٍّ كبير نمطَ الروابط الأوراسي . تهيمنُ المتجهاتُ إلى مدن آسيا المطلة على المحيط الهادئ ، ولكن لدى فرانكفورت وباريس أيضًا عددٌ معقولٌ من المتجهات الداخلية .

هذه هي المرة الأولى التي تُدرَس فيها العلاقات بين المدن على نطاقٍ عالميّ بهذه الطريقة . وكما هو متوقع من هذا البحث الأولي ، تُقترحُ العديدُ من الفرص لإجراء المزيد من التحقيقات ، لا سيما باستخدام المزيد من المدن وتحليلاتٍ شبكيةٍ أكثر تطورًا لاستخلاص المزيد من سمات شبكة المدن العالمية المعاصرة . لكن المهمة الأكثر إلحاحًا هي تجاوز هذا التحليل المقطعي ودراسة التغييرات بمرور الوقت من أجل تحديد تطور تشكيل شبكة المدن العالمية . بهذه الطريقة فقط سنتمكن من إجراء تقييماتٍ مدروسةٍ لكيفية تطور الشبكة في الألفية الجديدة وكيف سيؤثر ذلك على المدن المختلفة . على سبيل المثال ، هل تأثير الظل في نيويورك في ازدياد أم في تراجع ؟ ببساطة ، لا نعرف.

الخلاصة: ديستوبيا ميتاغرافية؟

حذر ريكاردو بيتريلا ، الذي يُشار إليه أحيانًا باسم "المستقبلي الرسمي للاتحاد الأوروبي" (1995: 21) ، من صعود "أرخبيل غني من المناطق الحضرية... محاط بمجتمع فقير" "الكوكب المظلم" (ص 21). يتصور بيتريلا سيناريو تحل فيه أقوى 30 منطقة مدينة (CR 30) محل مجموعة الدول السبع (أقوى سبع دول) ، مترأسةً حوكمة عالمية جديدة بحلول عام 2025. ويكتسب هذا السيناريو مصداقيةً نظرًا لتورط مدن العالم المعاصرة في الاستقطاب الحالي للثروة والأجور المصاحب للعولمة الاقتصادية . فقد طالب ممارسو المدن العالمية والمهنيون العاملون في سوق عمل عالمي بـ"أجور عالمية" (في شكل مكافآت إلى حد كبير) وحصلوا عليها لإنشاء فئة دخل جديدة من "الأثرياء المأجورين" ؛ وفي إشارة إلى لندن ، أُطلق عليهم اسم "الطبقة العليا" الجديدة (أدونيس وبولارد 1997).

يعرض بيتريلا تصوره للعالم المظلم للفصل العنصري كتحذير من الاتجاهات الحالية لتنبيهنا إلى المخاطر المستقبلية . لكن ليس على المدن أن تلعب دور "البغيض" المستقبل . داخل المدن العالمية ، يُمكن إدارة التوترات الثقافية وتطويرها بشكل إبداعي على أفضل وجه . **من المؤكد أن الدول الحديثة ، في سعيها لأن تكون دولًا قومية ، لديها سجلٌّ مُريع في التعامل مع مسائل الاختلاف الثقافي** . لكن النقطة الأساسية هي أن هذه ليست مسألةً بسيطةً تتعلق بمدنٍ في مواجهة دول (تايلور 2000) . فالمدن العالمية لا تُلغي سلطة الدول ، بل هي جزءٌ من إعادة هيكلة عالمية تُعيد "قياس" علاقات القوة ، حيث ستتغير الدول وتتكيف كما فعلت مراتٍ عديدة في عمليات إعادة الهيكلة السابقة (برينر 1998) . إن "عمليات إعادة التفاوض" الجارية بين دور لندن العالمي واقتصاد الأمة ، وبين دور نيويورك العالمي واقتصاد الولايات المتحدة ، ومع جميع مدن العالم الأخرى واقتصاداتها الإقليمية "الوطنية" الشاملة ، هي جزءٌ من تغييرٍ أوسع يُؤثر على التوازن بين الشبكات والأقاليم في اقتصاد الفضاء العالمي . في هذه الورقة ، أوضحنا كيف يمكن إجراء تحليل تجريبي للشبكات الاقتصادية للمدن لتكملة اهتمام الجغرافيا الاقتصادية التقليدية بالميزة النسبية بين الدول . وخلاصة استنتاجنا الراسخة هي أنه في الألفية الجديدة ، لا يمكننا تجاهل هذا الجغرافيا الجغرافية الجديدة ، أي شبكة المدن العالمية.